إغتيال قادة المقاومة.. بين الأهداف التكتيكية والتأثير الاستراتيجي

هاني رمضان المغاري
إعلامي ومحلل سياسي من غزة

الوفاق/ لابدّ في البداية أن نقف أمام حقيقة أن طريق المقاومة محفوف بالمخاطر وأي قائد يتصدر ويتقدم الصفوف يعلم جيداً أن النهاية لن تخرج عن نتيجتين إثنتين لا ثالث لهما، إمّا النصر أو الشهادة، فاغتياله ليس نجاحاً للعدو بقدر ما هو تحقيق لأمنيته، لذلك نجد أن خلاصة تجربة حركات المقاومة بشكل عام وفي فلسطين ولبنان على وجه الخصوص تقول أن إرتقاء القادة هو إعلاء لشأن مشروع المقاومة والتحرير الذي رفعوه وارتقوا لأجله، كما أنه دليلٌ على صدق وصوابية النهج والطريق، والإصطفاء لا يكون إلا للصادقين.

لا شك أن الصراع الدائر بين محور المقاومة والعدو الصهيوني لا يُحسم بالضربة القاضية، وكذلك اغتيال القادة لن يقود العدو لتحقيق تحولات استراتيجية في بنية حركات المقاومة يضمن له إنهاء تهديدها الوجودي لكيانه الغاصب، عقدة هذا الكيان أنه اصطدم بحركات مقاومة عقائدية وذات بُعد أيديولوجي متماسك، وبالتالي فإن إغتيالات قادتها هي اغتيالات سياسية ذات بُعد تكتيكي وتأثير محدود، وخير دليل على ذلك ما جرى مع حزب الله عقب اغتيال أمينه العام السيد حسن نصر الله، فسرعان ما استعاد الحزب زمام الأمور وأظهر تماسكاً في بنيتيه العسكرية والسياسية ضمن له تصعيد المواجهة مع العدو والإنتقال من مرحلة المساندة لغزة إلى مرحلة المشاركة في صدّ العدوان عنها.

تعلم حركات المقاومة أن استشهاد القادة هو جزء من الثمن المدفوع على طريق التحرر والخلاص، لذلك تعمَد إلى تجهيز الخطط البديلة في حال غياب قائد أو أكثر، فحركة حماس لم يُذكر أن اغتيال قادتها أحدث فراغًا استراتيجيًا منذ استشهاد المؤسس الشيخ أحمد ياسين قبل عقدين من الزمن وحتى ارتقاء القائد المشتبك يحيى السنوار قبل أسابيع، بل حوّلت الحركة أسماء قادتها الشهداء إلى صواريخ وقذائف تدكّ بها مدن الكيان الصهيوني وتصهر بها دباباته وآلياته.

وعلى جبهة لبنان كذلك، فالسيد حسن نصر الله لم يكن الأول والسيد هاشم صفي الدين لم يكن الأخير، فهذه الاغتيالات ستعزز الإصرار لدى هذه الحركات لمواصلة طريق قادتهم، لأن الإنتماء داخل الهياكل التنظيمية لحركات المقاومة المؤدلجة يكون للفكرة لا للأشخاص على أهمية هؤلاء الأشخاص؛ لكن استشهادهم في حد ذاته ملهم للصفوف الأخرى باستكمال الطريق وأن موتوا على ما مات عليه القادة، فإن غاب سيد قام سيد.

السّيد هاشم صفي الدين.. يا صافياً زلت «الـكيان» من المدى

زينب الطحان
كاتبة من لبنان

الوفاق/ يا صافيًا... زلت «الـكيان» من المدى

ومِنَ الوجود كمسرح الأشلاءِ
أوفيتَ عهدك للمجاهد واقفًا
وصمدتَ في نفق مع الإعياءِ
فانعمْ برمش القدس حرًّا في السّما
واهتف بآيات... فدى الشُّهداءِ
إنَّ القلوب الآن تذكر نبلكم
وتعدُّكمْ بطلًا من الشرفاءِ

الشاعر أنور موسى

لم يستطع الصمود أكثر من أيام معدودات؛ في حين استمر العدوّ الصهيوني باستهداف المكان منعًا من إنقاذه؛ في الرابع من تشرين الأول الجاري، فقد بقى تحت الدمار ثلاثة أسابيع متواصلة.. فما كان من الله سبحانه إلّا أن استجاب له بتحقيق حلمه القرمزي بسحر الشهادة في عمر الستين؛ بالأخص بعدما فارقه رفيق العمر والدّرب الشهيد الأعزّ والأسمى والأقدس الأمين العام سماحة السّيد حسن نصرالله، بأيام قليلة تفصل بينهما.. إذ قال السّيد هاشم صفي الدّين عقب هذا الرحيل الأليم في رثاء سماحة الأمين العام: «الإخوة الأعزاء جميعًا.. أكتب إليكم في أمضّ وأفجع لحظات عمري، ليت الموت أعدمني الحياة، ولعلّي لاحق به عمّا قريب شهيدًا في أثره، فتستقرّ بذلك روحي. لا أنعي نفسي ولكن لا طيّب الله العيش بعدك يا سيّدي وحبيبي وروحي التي بين جنبيّ. ألا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا.. ولكن يتوجّب علينا أيها الإخوة الأعزاء أهل القلم والفكر والرأي والصوت الصادح المبارك- بإذن الله- أن نثبت في الميدان ونقف على أقدامنا متمسكين بمقاومتنا وحقنا وواجبنا في الدفاع عن وطننا وشعبنا.. لعلّي لاحق به عمّا قريب شهيدًا في أثره؛ فتستقر بذلك روحي..»؛ هذا كان طلبه الأخير وأمنيته الغالية؛ فلم يخيّب الله أمله؛ فارتحل في الأثر شهيدًا عظيمًا؛ فالله درّه من قائد خافه العدو حتى قبل أن يحلّ أمينًا عامًا خلفًا للسيد نصرالله؛ فأسرع بالقضاء عليه؛ فكان لغيابه وشهادته أثر أعظم بين المجاهدين الذين يسطّرون أعظم الملاحم البطولية على الحدود مع أعتى عدوّ للأمّة الإسلاميّة مذ بزوغ نور النبي الأعظم محمد(ص)، وهم يريدون إطفاء هذا النور لتبقى ظلماتهم.. وكان لغيابه بين مجتمع المقاومة صمودًا أكبر واعتزازًا أشدّ من أي وقت مضى؛ حين يرون أن مَن يمثّلهم ويقود مسيرتهم هم أوّل مَن يدفع التضحيات، وهم أول الشهداء.. فكيف لا يصمدون؟!

لقد حظيت شخصية الشهيد السّيد صفي الدّين بشعبية بين أوساط المقاومين وعائلاتهم، وبمحبة عامة واحترام واسع بين جمهور المقاومة الذي كان قريبًا منه ومطلعًا على يومياته، عاملًا على تجاوز مشكلاته، بالعمل، ليلًا ونهارًا، في مؤسسات الحزب الاجتماعية وغيرها، إذ على مدى ثلاثة عقود، أمسك السّيد الشهيد بكثير من الملفات اليومية الحسّاسة في الحزب في مختلف مؤسساته.

على غرار الشهيد الأقدس السّيد حسن نصر الله، يشترك السّيد صفي الدّين معه في العديد من الصفات، لقد كان يتميز بالحضور الشعبي والسياسي، وخطاباته المفوهة والنارية، والتي تغلب عليها النبرة الدينية القوية، والمواقف الملتزمة بقضايا الأمّة، مهددًا على الدوام في تلك الخطب العدو الصهيوني بالمصير الذي ينتظره على أيدي المجاهدين الأبطال؛ في حال أقدم على أي اعتداء على لبنان.

ففي كلمة ألقاها في ١٣ يوليو/ تموز ٢٠٢٤، قال السّيد صفي الدّين: "إذا كان تكليفنا، كما هو اليوم، أن نكون في الجنوب نقاتل هذا العدو، ونقدم شهداءنا، فنحن مستعدون للتضحية بكل شيء، وواثقون بأن الله سينصرنا كما نصرنا في العام ٢٠٠٦".

وفي خطاب آخر في ١٨ من الشهر ذاته، شدد على أن «لبنان معني بالحرب مع العدو الصهيوني من دون قيود أو حدود». كما أكد مرارًا، في المدة الأخيرة، على ما سبق أن أعلنه الشهيد السّيد نصر الله بأنّ حزب الله لن يتوقف عن دعم جبهة غزة حتى إيقاف الاحتلال عدوانه على قطاع غزة المحاصر. نجم آخر من نجوم قادة المقاومة يرتفع نحو السماء عائدًا إلى عليائه الأولى في الأصل؛ فمسكن الإنسان الأول هو السماء التي هبط منها ليعمّر الأرض، وإلى السماء يعود؛ بعدما عمّر السّيد هاشم صفي الدّين طوال حياته الشريفة وبشهادته المقاومة ومجتمعها بالبناء العامر بالعطاء والتضحيات.

لذلك قال في حقّه الإمام الخامنئي(حفظه الله ورعاه): «لقد إلتحق السّيد المجاهد الشجاع والمضحّي، سماحة السّيد هاشم صفي الدّين بصفوف شهداء المقاومة، فازدانت سماء الجهاد في سبيل القدس الشريف بنجم ساطع جديد. كان سماحته من أبرز الشخصيات العظيمة في حزب الله، وكان الناصر والرفيق الدائم لسماحة السّيد حسن نصر الله. بفضل حكمة وشجاعة قادة مثل سماحته، استطاع حزب الله أن يصون لبنان من خطر التقسيم والانهيار مجددًا، وأن يحبط تهديد الكيان الغاصب الذي كان جيشه الشقي والظالم يسحق الأرض بأقدامه وصولًا إلى بيروت أحيانًا. إنّ شهامة سماحته وتضحيته، هو وسائر القادة والمجاهدين في محور نصر الله، أزالت خطر غصب جنوب الليطاني وصور وغيرها من مدن تلك المنطقة، واحتلالها، وضمّها إلى فلسطين المغصوبة والمحتلة، وجعلت أرواح حزب الله وممتلكاتهم وسمعتهم القيّمة تخوض الميدان في سبيل الحفاظ على سيادة أراضي ذاك البلد، وأفشلت الكيان الصهيوني المعتدي والمجرم».

في الختام، يشهد التأريخ أن الله سبحانه قد رسّخ فيه سننه الربانية؛ في أن للمعركة بين الحق والباطل جولات وجولات حتى يوم القيامة؛ وقبله يوم العدل الإلهي والوعد الرباني مع دولة صاحب الزمان(عج)؛ حينها نعمّر الأرض بالخير والكرامة والعزة والشرف التي يستشهد من أجلها شهدؤانا العظام، إذ بعد أقلّ من شهر على فقيدينا الغاليين الشهيد السّيد حسن نصرالله ورفيق دربه السّيد هاشم صفي الدين رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله؛ تبرهن المقاومة على حقيقة هذه السُّنة التاريخية بين البشر "إِنْ يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (آل عمران/ ١٦٠)، وبدأنا نشهد صراخ جنود العدو الصهيوني في جنوب لبنان صراخًا سيتحول إلى عويل ونباح يتبعه هروب إلى أقصى الغرب محرّرًا فلسطين كلها من النهر إلى البحر.

بإستشهاد السيد هاشم صفي الدين... سنبقى الأسياد

جهاد أيوب
ناقد وكاتب

الوفاق/ هذا نحن، ونحن نحن، وحقيقتنا سيد يسلم السيد، وسيد يستشهد ليستشهد السيد...

هذا هو كتابنا في جبل عامل ومنه، راية تسلم إلى قائد ليزرعها في جيل قادم، والقادم يفاخر بمن سلمه الراية...

وهذا عنفوان أرضنا وإيماننا وعنفوان الروح فينا، والنفس الطاهرة التي لا تعرف الخنوع، والتي جُمعت في السيد هاشم صفي الدين حتى كان وسيبقى منارتنا التي نغرف منها كلما احتجنا إلى مواقف الكبار...

لقد حمل السيد الشهيد المهام من قريب الروح والدرب والموقف، ولم يتحمل فراق من أحب وعشق فكانت شهادته التي تمناها، كانت شهادة على يد شياطين الأرض واحقر الناس، وأكثر المجرمين في تاريخ الأمم، إنهم صهاينة إبليس والأعور الدجال...

تلك الأرض التي سقطت فيها روحه صعدت طاهرة إلى السماء دون أن تلتفت إلى حقارة أبناء العم، وغدر أولاد الخال، وجحود من يدعون الدين...

لقد نظر السيد هاشم إلى مَن حوله لحظة استشهاده وتنفس بركات اللحظة، وأسلم الروح مطمئناً فمن هم من حوله قادة وأبطال المواقف، ويعملون على تطهير الأرض من شوائب كل المراحل...

رحل السيد هاشم والابتسامة تغمر كيانه، وهو يعرف مَن عاشوا في كنفه وكنف السيد الشهيد حسن نصرالله أنهم من الأخيار وأشرف المقاومين، والأعز، والأوفياء، وأصحاب الرايات...

الشهيد السيد هاشم صفي الدين نعرفه جيداً وبفخر، ولا نخجل من أن نقول بأنه هو الصابر التقي، والواثق الواقعي، والمؤمن العملي، والحاسم العطوف، وكياسته بأخلاقه، وتواضعه بتصرفاته، وتميزه بوضع النقاط في مكانها الصحيح...

لا يكثر من الكلام إلا بما هو قيمة وموضوعية، ولا يحب أهل الثرثرة، هو يستمع، ويناقش، ويرد بتهذيب، ويستوعب مَن هم حوله ومعه وحتى مَن هو ليس معه...

هو باختزال قيمة روحية وفكرية وعاطفية ورجولية جبلت بشخص السيد هاشم، وبدوره جُبل من تراب الوطن، وكشف معنى حبات كل شبر من أرض الوطن، وكم كان وفياً لكل فرد في هذا الكيان العجائبي...

الشهيد السيد هاشم استشهد ثابتاً وراسماً آفاق المرحلة وما بعدها، هو ذاك طائر الفينيق الذي يعرف السر، وهو ماء المطر الذي يروي الكون، ولا نبالغ إذا قلنا هو حكاية مشرفة ومناضلة سنرويها لأولادنا ولكل الأجيال المقبلة...

هو قامة مقاومة فيها عنفوان الموقف والنظر الثاقب وبُعد المواقف...

الشهيد السيد هاشم صفي الدين أنيق الكلام والعنفوان، جبار على العدو، ورحيم علينا، عاش خارج وهج الضوء؛ ولكنه كان الضوء، لم يبخل علينا بسؤال وباستشارة وبالرأي، هو جاهز ليسمع وليعلمنا، وليبقى في المقدمة مناضلاً شريفاً، واستشهد في الميدان ولم يهرب إلى قصور يتمناها عبيد المراحل؛ ولكنه استمر بين جدران الضاحية الجنوبية الصابرة، وعاش حرّاً وقائداً ورفيقاً وأخاً وينتظر الشهادة التي وعدبها، واستشهد عفيفاً وشامخاً ومتفوقاً ومقاوماً، وصاحب السمعة النظيفة، ولم يكن دون الراية، والراية بوجوده أثمرت الكثير من الرايات المثمرة!

الشهيد السيد هاشم صفي الدين منارة لا تعرف الأفول، وسيرة من ذهب الرجال، ومفخرة من وفي وطن التاريخ، وشجرة زيتون زرعت في أرض عامل من آلاف السنين، لذلك لن نُهزم إن استشهد قائدنا، ولن ننكسر إذا وقع مربينا، ولن نُصدم في خسارة صفحة ذهبية من السيرة المجابهة، فنحن أمّة تعشق الشهادة، وتتعلم من صبر الانكسار إن وقع، وندرس في كتب الكبار من المجاهدين مع حليب أمهاتنا، والسيد هاشم من خيرة المجاهدين...

نعم، فاضت بنا الشهادة، والخسارة كبيرة؛ ولكننا من أتباع الإمام الحسين(ع)، والسيد هاشم من الذين درّسونا فكر كربلاء التي هي في كل عصر...

نعم، في حربنا مع الصهاينة نفتقد الشهامة، والسيد الشهيد هاشم من نشامى الأرض الشرفاء، وعلمنا أن نعرف الإختيار والكرامة في الإختيار...

نعم، في هذه المعركة توجعنا ولم نسلم الراية، انكسرنا ولم تكسر القضية، وشعرنا بالاختناق، ولم نسلم الروح إلا واقفين، ومع كل ما أصابنا لازلنا نصلي، نقرأ القرآن بإيمان، ونخوض في دعاء كميل حتى البكاء، وننتظر وعد الله...

هذا ما تعلّمناه من رسولنا(ص) وأهل بيته(ع)، ومن معاركنا في التاريخ، ومن سيرة الشهداء، وفي كتاب الكرامات...

هذا ما تعلّمناه من السيد حسن نصرالله حسين العصر، ومن السيد هاشم صفي الدين أبو فضل العصر...

إنهما مدرستنا، وكتابنا، وصفحاتنا الذهبية، وبالتأكيد، ويقيناً في استشهاد أسيادنا سنبقى الأسياد...

لولا أعلم أني في الأثر

أحمد الفتلاوي
إعلامي من كربلاء المقدسة

الوفاق/ من قبل ١٤٠٠ عام ونحن لازلنا نعيش مأساة كربلاء بكل أشكالها وتفاصيلها، عندما وقف الإمام الحسين(ع) أمام جيشٍ يفوقه بعشرات المرات؛ ثلاثة وسبعون رجلاً يقودهم سيدهم أمام أربعمائة من الطغاة الذين بايعوا الشيطان!

فكان ذلك الرجل وحده أمّة، فهو الحسين(ع) شهيد كربلاء ومن حوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قضو جميعاً وما بدّلوا تبديلا، يتسابقون على الموت فرحين مستبشرين مؤمنين بوعدهم الصادق عقائديون تحسبهم ملائكة يكرون ولا يفرون، يتساقطون الشهيد تلو الشهيد، كُهُولِهم كالبرق وصبيانهم كالرعد، فيسقط كبير القراء ويعسوب قومه وشيخهم "مسلم بن عوسجة" فيدنو منه شيخ الأنصار "حبيب بن مظاهر" ليقول له: "يعز عليَّ مصرعك يا مسلم.. ابشر بالجنّة"، فقال له قولاً ضعيفاً: "بشَّرك الله بخير"، فقال له حبيب: "لولا أعلم إني في الأثر لأحببت أن توصي إليَّ بكل ما أهمك"، فماذا يوصي مسلم في حاله هذه؟ فما أعظمها من وصية وأشدّها وقعاً علينا نحن الموالون والعاشقون لسيد الشهداء(ع) ولكربلاء..

ستّون يوماً كل عام ونحن نحيي كربلاء الحسين(ع) ونتخذها شعاراً؛ ولكن قليلون منّا مَنْ يعيش تلك الواقعة بروحه وأحاسيسه، ومَنْ يريد أن يشهد جزءاً صغيراً من تلك الواقعة، مَنْ يريد أن يرى كربلاء المصغرة فهي تتجسد أمامنا الآن في غزة ولبنان.. فالظلامة هي ذات الظلامة والقوم أبناء القوم والقتل هو القتل ذاته والدماء هنا هي امتداد لتلك الدماء، أطفال يجزرون كأنهم الطير المذبوح ونساء تستباح وسبيٌ للحرائر، ليتفرد الأعداء بهولاء القلة، ويتفرج ويتخاذل الكثرة.. إنهم يستصرخون فلا يغاثون ويستنصرون فلا ينصرون، والشام هي الشام لم تتغير فلازالت الطبول تقرع فرحاً وتضرب الغانيات بالدفوف سروراً ورقصاً ويشمت أهل الحجاز وأراذل الكوفة من أيتام البعث وأبناء الرفيقات، ويعتقد مَن يعتقد بأن أهل الحق لا نجاة لهم؛ لكن عندما يعلو صوت الأذان انظروا لمن الغلبة ولمن البقاء، فمن لم يعِ كربلاء فها هي كربلاء كل يوم فينا وكل يوم عاشوراء وفي كل منعطفٍ ترى "شمراً" وقد ذبح الهدى فستأسدت إهواءُ..

فهل نحن متعضون؟ وهل نحن نتدبر الآيات ونعي الحقيقة ونخير أنفسنا بأيّ صفٍ نكون؟ أنكونَ مع الإمام الحسين(ع) وأصحابه أم مع يزيد وجيشه؟ أم نقف متفرجين ونكثر السواد على الحق وأهله ولا ندري، أفمدركون ومبصرون أن النصر آتٍ والفرج قريب «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبلِكُم مَّسَّتهُمُ البَأْسَاءُ والضَّراءُ وَزُلزِلوا حَتى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصرَ اللهِ قَرِيب» (البقرة/ ٢١٤).

ثمانون طنّاً من المتفجرات كانت كفيلة بنسف جبل راسخ من مكانه وتحويله دكّاً منسياً لقتل رجل واحد، فكان ذلك الرجل هو الجبل وأربعة آلاف رجل مدججين بالسيوف كانوا قادرين على هزم أمّة كبيرة شهروا سيوفهم بوجه الإمام الحسين(ع) وسبعون رجلاً من أصحابه، فكان الإمام الحسين(ع) أمّةً وحدهُ، من هنا نعرف عظمة المقتول وخسة ونذالة القاتل، إنها تشابه أدوار ووحدة هدف.

فذلك الرجل الذي ولد عام ١٩٦٤ في دير قانون النهر بلبنان ما انفك يوماً عن ملازمة ابن خالته الشهيد السعيد سيد شهداء المقاومة وسيد شهداء عصره السيد حسن نصر الله، قد ألا على نفسه أن يكون رفيق دربه ليس في الدنيا فقط، وإنما في الآخرة أيضاً، وكأنه حبيب عصره الذي كان يعلم أنه في الأثر وإلا لَاَحب أن يوصيه ما أهمّه؛ ولكن يعلم أنه لاحق به لا محال، فما أسرع اللحوق وأطيب اللقاء في جنات عرضها السموات والأرض، تاركين مكانهم، رجال يستأسدون في أخذ الثأر أشداء على الكفار متفانين في القتال سيثبتون على الأهوال وأنهم راسخو الإيمان، كما قال قائد الثورة الاسلامية الإمام السيد الخامنئي(دامت بركاته).

فنم قرير العين يا سيد هاشم واطمئن أبا رضا وأبلغ السلام عنّا لرفيق دربك أبا هادي السيد حسن نصر الله وسينبت الجنوب جنوداً يعشقون الموت كما الأعداء يعشقون الحياة وستثمر الضاحية رجالاً أشداء فيهم ألف حسن وألف هاشم وسترفع رايات النصر في القدس الشريف بيد الأبطال من أبناء المقاومة وستعلق صوركم أنتم يا سادة المقاومة ورايات حزب الله على بوابات فلسطين شاء مَنْ شاء، وأبى مَنْ أبى، وأن غداً لناظره لقريب.